التعظيم والمنة في ان ابوي رسول الله في الجنة

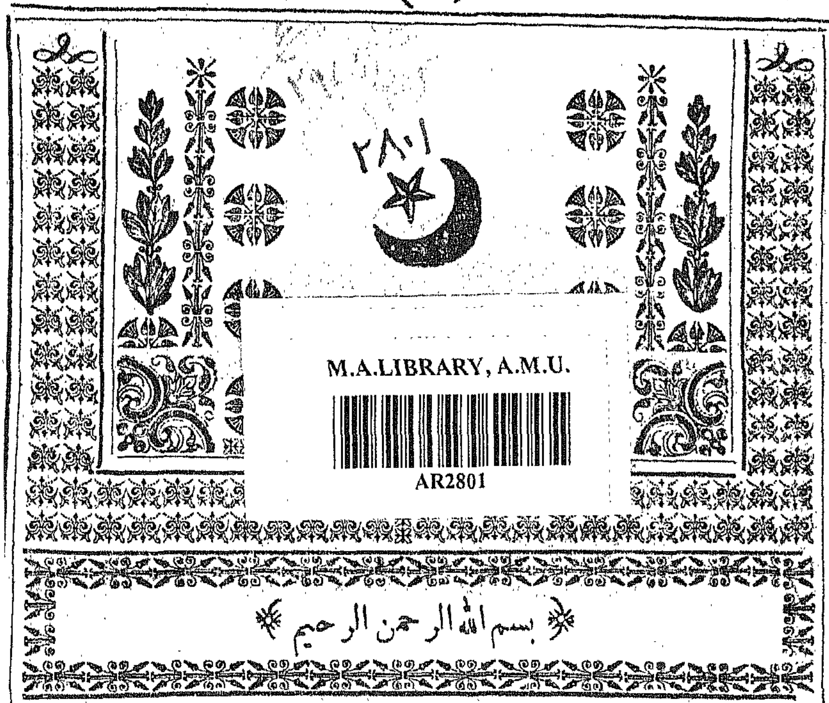
للشيخ العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي رحمه الله

مؤلف جمع الجوامع وغيرها من الكتب الشهيرة

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمحروسة حيدر آباد الدكن
عمرها الله الى اقصى الزمن

سنة (١٣١٧) الهجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى * افتيت بان المختار ان ام النبي صلى الله عليه وآله وسلم موحدة وحكمها حكم من تحنف في الجاهلية وكان على دين ابراهيم الخليل عليه السلام وترك عبادة الاصنام كزيد بن عمرو بن نفيل واضرابه وبان الحديث الوارد في ان الله احياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ بل هو من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصا في مثل هذا الموطن فتضمن هذا الافتاء امرين محتاجين الى بيان المستند لكل منهما * فاقول * قال ابن شاهين في كتابه (الناسخ والمنسوخ) حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الانصار ثنا احمد بن يحيى الحضرمي بمكة ثنا ابو غزية محمد بن يحيى الزهري ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله

عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل الى الحجون كئيبا حزينا فاقام به
ماشاء ربه عزوجل ثم رجع مسرورا فقلت يارسول الله نزلت الى الحجون
كئيبا حزينا فاقمت به ماشاء الله ثم رجعت مسرورا قال سألت ربي عزوجل
فاحيا لى امي فآمنت بي ثم ردها * اورده ابن الجوزي في الموضوعات
وقال الحافظ ابو الفضل ابن ناصر هذا الحديث موضوع ومحمد بن زياد
هو النقاش ليس بثقة واحمد بن يحيي ومحمد بن يحيي مجهولان * قلت *
اما محمد بن يحيي فليس بمجهول فقد ذكره الذهبي فى (الميزان والمغنى)
معا فقال محمد بن يحيي ابو غزية المدنى الزهري قال الدارقطنى متروك
وقال الازدي ضعيف هذه عبارته فقد عرف بالضعف لا بالوضع
ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع بل فى
درجة الضعيف * واما احمد بن يحيي الحضرمى فليس بمجهول ايضا فقد
ذكره الذهبي فى (الميزان) وقال روى عن حرملة التجيبي لينه
ابو سعيد ابن يونس ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه * واما محمد بن زياد
فانكان هو النقاش كما ذكر فهو احد العلماء بالقراءات واحد الائمة بالتفسير
قال الذهبي في (الميزان) صار شيخ المقرين في عصره على ضعف فيه اثنى عليه
ابو عمر الداني وحدث بمناكير ومع ذلك فلم يفرد وابه فان للحديث طريقين
آخرين عن ابي غزية * قال الحافظ محب الدين احمد بن عبد الله المكي الطبرى
في كتابه (السيرة) انا ابو الحسن انا الحافظ ابو الفضل محمد بن ناصر السلامي
اجازة انا ابو منصور محمد بن احمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد انا
القاضي ابو بكر محمد بن عمر بن الاخضر ثنا ابو غزية محمد بن يحيي الزهرى

ثنا

ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربي
فاحيا لي امي فآمنت بي ثم ردها * واما الذهبي فلم يعلل الحديث بواحد
من الثلاثة المذكورين بل قال في (الميزان) عبد الوهاب بن موسى عن
عبد الرحمن بن ابي الزناد يحدث ان الله احيا لي امي فآمنت بي الحديث لا يدرى
من ذا الحيوان الكذاب فان هذا الحديث كذب يخالف الصحيح من انه عليه
السلام استاذن ربه في الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له انتهى * حاصله انه
اعل الحديث بامرين * احدهما * جهالة عبد الوهاب بن موسى * والثاني *
مخالفته للحديث الصحيح المذكور * والجواب عن الامر الاول * ان عبد الوهاب
معروف من رواة مالك وقد روى هذا الحديث ايضا عنه * قال
الحافظ ابو بكر الخطيب في كتاب (السابق واللاحق) اخبرنا ابو العلاء
الواسطي ثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي ثنا ابو طالب عمر بن الربيع
الزاهد ثنا علي بن ايوب الكعبي ثنا محمد بن يحيى الزهري ابو غزية ثنا
عبد الوهاب بن موسى ثنا مالك بن انس عن ابي الزناد عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم انه طفر فنزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى
جنب البعير فمكث عني طويلا ثم انه عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت
وامي يا رسول الله نزلت وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي

وانت فرح متبسم فهم ذا يارسول الله قال ذهبت بقبر امي فسألت الله
ان يحييها فاحياها فآمنت بي وردها الله * اخرجه من هذا الطريق
الدارقطني في (غرائب مالك) وقال باطل واخرجه ابن عساكر في
(غرائب مالك) ايضا وقال منكر واورده ابن الجوزي في (الموضوعات)
ايضا ولم يتكلم على رجاله وقد قال الذهبي في (الميزان) علي بن ايوب
ابو القاسم الكعبي روى عن ابن يحيى الزهري لا يكاد يعرف * قلت * قد بان بهذا
الطريق ان عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له ابو العباس الزهري ذكره
الخطيب في الرواة عن مالك فاورد له اثرا عن مالك فاخرج من طريق سعيد
ابن الحكم بن ابي مريم المصري ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري ثنا مالك ثني
عبد الله بن دينار عن سعد مولى عمر بن الخطاب ان كعب الاحبار قال لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه انا نجد لك في كتاب الله تعالى على باب من ابواب
جهنم تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة * هذا
الاثر معروف عن مالك اخرجه ابن سعد في (الطبقات) عن معن بن عيسى عن
مالك بسنده ومتنه سواء فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته
المعروفة وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن ابي الزناد عن هشام *
وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام * فرواه مرة هكذا ومرة هكذا وفي
هذا الطريق زيادة فائدة هي ان ذلك وقع في حجة الوداع وبه يحصل
الجواب عن الامر الثاني وهو المخالفة لحديث الاستيذان في الاستغفار عند
الزيارة فان قصة الزيارة كانت عام الفتح كما في حديث بريدة وذلك
قبل هذه القصة بعامين ولهذا اورده ابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ)

فاورد حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله منسوخا واورد بعده حديث عائشة في الاحياء وجعله ناسخا وذلك حسن جلي وتابعه القرطبي على ذلك فقال في (التذكرة) بعدان اورد حديث عائشة في احياء امه وحديث احياء ابويه ولا تعارض لان احيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لماذكر من الاخبار * وقال * ابن شاهين ايضا حدثنا يحيى بن صاعد ثنا ابراهيم بن سعد وزهير بن محمد وله اللفظ قالا ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا مصعب بن حرب عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن ابي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء ابنا مليكة فقالا يا رسول الله ان امنا كانت تكرم الضيف وقد وأدت في الجاهلية فاين امنا فقال امكما في النار فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان امي مع امكما فقال منافق من الناس اوما يغني هذا عن امه الاما يغني ابنا مليكة عن امهما فقال شاب من الانصار لو ان ابويك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سألتهما ربي فيعطيني منهما واني لقائم المقام المحمود * واخرجه الحاكم في (المستدرك) وقال صحيح وفي هذا الحديث فوائد * منها * ان قوله ان امي مع امكما كان قبل ان يسأل ربه فيهما فلا ينافيه حديث احيائهما وايمانهما حين سأل ربه في ذلك * ومنها * انه صلى الله عليه وآله وسلم جوز انه اذا سأل ربه فيهما يعطيه فدل ذلك على امكانه * ومنها * ان اصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا ان من خصائصه ما يقتضي ذلك * وقال * ابن سعد في (الطبقات) اخبرنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن مسلمة عن ثابت عن اسحق بن عبد الله بن

الحارث

الحارث قال قال العباس يارسول الله ماترجولابي طالب قال كل الخير ارجو من ربي فاذا كان هذا ارجاؤه لابي طالب مع انه ادرك البعثة وعرض عليه الاسلام فابي فلابويه اولى * وقال السهيلي في كتابه (الروض الانف) روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدي ابي عمر احمد بن ابي الحسن القاضي بسند فيه مجهولون ذكر انه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه الى ابي الزناد عن هشام عن عروة عن عائشة رضي الله عنها اخبرت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه ان يحيي ابويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما * والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم اهل ان يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته انتهى * وقال القرطبي ذكر الحافظ ابو الخطاب عمر بن دحية ان الحديث في ايمان امه وابيه موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع قال الله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار * وقال فيمت وهو كافر * فمن مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع فكيف بعد الاعادة وفي التفسير انه عليه الصلوة والسلام قال ليت شعري مافعل ابواي فنزل ولا تسأل عن اصحاب الجحيم * قال القرطبي وفي ماذكره ابن دحية نظر وذلك ان فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى مماته صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى به واكرمه وليس احياؤهما وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم احيا الله

على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة في كرامته وفضله مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافرا وقوله فمن مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى علي رضي الله عنه * ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون لابوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قبل الله تعالى ايمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو احد الاقوال وهو ظاهر القرآن * واما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل ايمانهما في العذاب انتهى كلام القرطبي * قلت * استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن ولهذا حكم بكون الصلوة اداء والا لم يكن برجوعها فائدة اذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب * وقد ظفرت باستدلال اوضح منه وهو ما ورد ان اصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وورد عن ابن عباس مرفوعا اصحاب الكهف اعوان المهدي * اخرجه * ابن مردويه في تفسيره فقد اعتد بما يفعله اصحاب الكهف بعد احيائهم عن الموت ولا بدع في ان يكون الله تعالى كتب لابوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم اعادهما لاستيفاء اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به ويكون تاخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما اكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كما ان تاخير اصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما اكرموا به ليحوزوا واشرف

الدخول في هذه الامة ثم ان تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة اهل الحديث فقد ذكر الحافظ ابو الفضل ابن طاهر المقدسي في كتابه (الايضاح) تعليل ابن حزم لحديث الاسراء الذي اخرجه البخاري وحكمه عليه بانه موضوع لمخالفة ماثبت في احاديث الاسراء الصحيحة ثم تعقبه بان قال ان ابن حزم وان كان اماما في علوم شتى الا انه لم يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث وذلك ان الحفاظ انما يعللون الحديث من طريق الاسناد الذي هو المرقاة اليه وهذا الرجل علله من حيث اللفظ انتهى * واما حديث ليت شعري ما فعل ابواي فمرسل ضعيف لا تقوم به حجة وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في سيرته بعد ان ذكر رواية ابن اسحق في ان اباطالب اسلم عند الموت مانصه وقد روي ان عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب ابوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسلما ايضا وان الله احياهما له فآمنا به وروي ذلك ايضا في حق جده عبد المطلب قال وهو مخالف لما اخرجه احمد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله اين امي قال امك في النار قلت فاين من مضى من اهلك قال اما ترضى ان تكون امك مع امي * قال وذكر بعض اهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ماحاصله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقيا في المقامات السنية صاعدا في الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه الطاهرة اليه وازلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه فمن الجائز ان تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان لم تكن وان يكون الاحياء والايمان متأخرا عن تلك الاحاديث فلا تعارض انتهى * قلت * هذا كله كلامي

على الحديث من غير ان اقف على كلام احد تكلم عليه ثم راجعت (لسان الميزان) تاليف امام الحفاظ ابي الفضل ابن حجر فوجدته ساق كلام (الميزان) في ترجمة عبد الوهاب بلفظه ثم قال ما نصه قلت تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث وقد قال الدارقطني في (غرائب مالك) ما نصه ويروى عن مالك عن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها حديثان منكران باطلان فذكر هذا الحديث من طريق علي بن احمد الكعبي عن ابي غزية ثم قال وهذا كذب على مالك والحمل فيه على ابي غزية والمتهم به هو او من حدث عنه وعبد الوهاب بن موسى ليس به باس * ثم قال الحافظ ابن حجر واخرج ابن الجوزي في (الموضوعات) عن عمر بن الربيع الزاهد ثنا علي بن ايوب الكعبي حدثني محمد ابن يحيى ابو غزية الزهري عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا ثم ساق من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال ثنا احمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب * ثم قال ابن الجوزي النقاش ليس بثقة واحمد ابن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان * قال الحافظ ابن حجر فاما قوله علي بن ايوب الكعبي فوافقه ابن عساكر عليه لما اخرج هذا الحديث بطول كما سياتي في ترجمة عمر بن الربيع وسمى الدارقطني اباه احمد واما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة في (تاريخ مصر) لابي سعيد ابن يونس ورماه الدارقطني بالوضع وهو ابو غزية محمد بن يحيى الزهري وسياتي ذكره في موضعه واما احمد بن يحيى فلم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به وفي طبقته جماعة كل منهم احمد بن يحيى اقربهم الى هذا السند

احمد بن يحيى بن زكريا فانه مصري وعلي الكعبي مصري كما قاله الدارقطني وقد ذكر الخطيب عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك وكناه ابا العباس واورد له من طريق سعيد بن ابي مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار اثرا موقوفا على عمر رضي الله عنه في قصة له مع كعب الاحبار وقال انه تفرد به ولم يذكر فيه جرحا واورده الدارقطني في (الغرائب) من هذه الترجمة وقال هذا صحيح عن مالك ونقل ابن الجوزي عن شيخه محمد بن ناصر ان هذا الحديث موضوع لان قبر امه بالابواء كما ثبت في الصحيح وابو غزية هذا زعم انه بالحجون وسبق ابن الجوزي الى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في (كتاب الاباطيل) وسياتي ترجمة عمر بن الربيع مع زيادة في الكلام على حديث ابي غزية عن عبد الوهاب بن موسى هذا كله كلام (لسان الميزان) في ترجمة عبد الوهاب وقوله في احمد بن يحيى انه لم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به يقال عليه قد ظهر من السند الذي ساقه ابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمي * وقال في (لسان الميزان) في ترجمة ابي غزية هو ابو غزية الصغير زهري كان بمصر روى عنه جماعة منهم وقد ذكر ابو سعيد ابن يونس نسبه فقال محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ابو عبد الله ولقبه ابو غزية مدني قدم بمصر له كنيتان وذكر فيمن روى عنه اسحق بن ابراهيم الكباس وزكريا بن يحيى البغوي وسهل بن سوارة ومحمد بن فيروز ومحمد بن عبد الله بن حكيم * قال ومات يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين

وقال الدارقطني في (غرائب مالك) ثنا ابو بكر النقاش المصري ثنا محمد
ابن عبد الله بن حكيم بمصر ثنا ابو غزية محمد بن يحيى الزهري ثنا عبد الوهاب
ابن موسى ثني مالك عن ابن شهاب ثني سعيد بن المسيب ثني عبد الله بن عمر
لما ولي علي فذكر قصة فيها فقال علي ان ابا بكر سبقني الى اربع الحديث قال
الدارقطني لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك وابو غزية هذا هو الصغير
منكر الحديث ثم اورد من طريق علي بن احمد فقال وكان ثقة ثنا
ابو غزية محمد بن يحيى ثني ابو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا
السند الى ابن عمر *رفعه *اليمين مندمة او مأثمة *وقال لا يصح هذا عن مالك
ولا عن الزهري والحمل فيه على ابي غزية انتهى واما ابو غزية فهو محمد بن
موسى الانصاري المدني القاضي يروي عن مالك وفليح بن سليمان
وعنه ابراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة ضعفه
البخاري وابن حبان وابو حاتم والعقيلي وابن عدي ووثقه الحاكم *مات
سنة سبع ومائتين وقال في ترجمة علي بن احمد الكعبي مصري متهم روى
عن ابي غزية عن عبد الوهاب عن مالك عن ابي الزناد عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها حديثين *احدهما *ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لما حج مر بقبر امه آمنة فسأل الله عز وجل فاحياها فآمنت فردها
الى حفرتها *والثاني *بهذا الاسناد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل
الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل وميكائيل فواراه وطفقا يحملان الحجارة
عنه شفقة من الله عليه *قال الدارقطني والاسناد والمتنان باطلان ولا يصح
لابي الزناد عن هشام عن ابيه عن عائشة شيء وهذا كذب على مالك والحمل فيه

على

على ابي غزية والمتهم بوضعه هو او من حدث عنه و عبد الوهاب بن موسى ليس به
باس و قال في ترجمة على بن ايوب الكعبي بعد ان ساق قول (الميزان) لا يكاد
يعرف * قلت * قد عرفه الدار قطني و سماه على بن احمد و قال في ترجمة عمر بن
الربيع بن سليمان ابي طالب الخشاب بعد ان ساق قول الذهبي * ذكره الفرات
في تاريخه و انه كذاب ما نصه و ضعفه الدار قطني في غرائب مالك و قال
مسلمة بن قاسم تكلم فيه قوم و وثقه آخرون و كان كثير الحديث توفي سنة
اربعين و ثلاث مائة بمصر و اورد له ابن عساكر في غرائب مالك من طريق
الحسين بن علي بن محمد بن اسحاق الحلبي ثنا ابو طالب عمر بن الربيع الخشاب
ثنا علي بن ايوب الكعبي من ولد كعب بن مالك ثنى محمد بن يحيي الزهري
ابو غزية ثنى عبد الوهاب بن موسى ثنى مالك عن ابي الزناد عن هشام بن عروة
عن عائشة قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع
فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء * قال ابن عساكر هذا
حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك والكعبي
مجهول و الحلبي صاحب غرائب ولا يعرف لابي الزناد رواية عن هشام وهشام
لم يدرك عائشة فلعله سقط من الكتابة عن ابيه انتهى * قال الحافظ
ابن حجر ولم عمر بن الربيع و لا علي بن محمد بن يحيي وهما اولى ان يلصق بهما
هذا الحديث من الكعبي و غيره و قد تقدم ذلك في ترجمة عبد الوهاب بن
موسى و فيه اثبات قوله عن ابيه التي ظن انها سقطت فهو كما ظن انتهى * هذا
مجموع كلام الحافظ في (لسان الميزان) فيما يتعلق بهذا الحديث و رجاله * وقد
الخص لى منه و مما قدمته ان الحديث غير موضوع قطعا و بيان ذلك انه ليس

في روايته من اجمع على جرحه فان مدار الحديث على ابي غزية عن
عبد الوهاب وعبد الوهاب وثقه الدارقطني في موضعين فقال في موضع
ثقة وفي موضع ليس به بأس واقره الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن احد فيه
جرح ومن فوقهم من مالك فصاعد الا يسأل عنهم لجلالتهم والساقط
بين هشام وعائشة عروة وقد ثبت في طريق آخر وابو غزية قال فيه
الدارقطني منكر الحديث وقال ابن الجوزي مجهول وترجمه ابن يونس
ترجمة جيدة اخرجه عن حد الجهالة والكعبي اكثر ما قيل فيه مجهول وقد
عرف وعمر بن الربيع نقل سلمة توثيقه عن آخرين وانه كان كثير الحديث
فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على الصنعة فكيف
وله متابع اجود منه وهو طريق احمد بن يحيى الحضرمي عن ابي غزية فان
هذا الطريق اجود من حيث ان طريق الكعبي فيها رجال على الولاء تكلم
فيهم الحلبي وعمر بن الربيع والكعبي والحضرمي لم يتكلم فيه لا بالجهالة
حيث اقتصر فيه على احمد بن يحيى وقد عرف لما نسب باللين وهي من الفاظ
التعديل الذي يحكم بحديث صاحبه بالحسن اذا توبع ولو لا تفرد به
لحكمت له بالحسن فالحديث اذا من افراد ابي غزية ومداره عليه وحكم
ابن عساكر على هذا الحديث بانه منكر حجة لما قلته من انه ضعيف
لا موضوع لان المنكر من الضعيف وبينه وبين الموضوع فرق كما هو معروف
في فن الحديث واقوى ما اعتمد عليه في هذا الحديث قول ابن عساكر فان
اكثر ما قيل في رواية ابي غزية انه منكر الحديث فيكون الحديث الذي تفرد به
منكرا وضابط المنكر انه الذي ينفرد به الراوي الضعيف مخالفا لرواية الثقات

وهذا

وهذا الحديث كذلك ان سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فان اتفقت المخالفة كان ضعيفا فقط وهي مرتبة فوق المنكر اصلح حالا منه ودون المنكر مرتبة ادون حالا منه وهي مرتبة المتروك والمتروك ايضا من قسم الضعيف الذي ليس بموضوع *

﴾ فصل ﴿

حديث الزيارة الذي حكم الذهبي بصحته لم يخرجه احد من الائمة الستة بل اخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود واحمد من حديث بريدة والطبراني من حديث ابن عباس واشار الحافظ ابن حجر في شرح البخاري الى ان من حكم بصحته فليس لكونه صحيحا لذاته بل لورود من هذا الطريق وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة ولله الحمد * فاما حديث ابن مسعود فاخرجه الحاكم من طريق ايوب بن هاني عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيبه باكيا فبكينا لبكائه ثم اقبل الينا فتلقاه عمر رضي الله عنه فقال يارسول الله ما الذي ابكاك فقد ابكانا وافزعنا فجاء فجلس الينا فقال افزعكم بكائي قلنا نعم قال ان القبر الذي رأيتموني اناجي فيه قبر آمنة بنت وهب واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي "ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين" الآيتين فاخذني ما ياخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي ابكاني * قال الحاكم هذا حديث صحيح وتعقبه الذهبي في (مختصر المستدرك) فقال ايوب بن هاني ضعفه ابن معين انتهى *

فهذه علة تقدح في صحته والعجب من الذهبي كيف يصحح هذا الحديث في (الميزان) اعتمادا على تصحيح الحاكم ثم يخالفه في (مختصر المستدرك) وفي الحديث علة ثانية وهي مخالفته لما في (صحيح البخاري) وغيره ان هذه الآية نزلت في موت ابي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له لم يكن وفيها وردا احاديث آخر في (الترمذي) وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة فان كان الذهبي رد حديث الاحياء لمخالفة هذا الحديث فهذا الحديث يرد المخالف المقطوع بصحته في (صحيح البخاري) وغيره * واما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فاخرجه الطبراني ولفظه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اقبل من غزوة تبوك واعتمر هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر امه وذكر نحو حديث ابن مسعود في نزول الآية وله علتان مخالفة الحديث الصحيح كما سبق واسناده ضعيف * واما حديث بريدة فاخرجه ابن سعد وابن شاهين بلفظ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة اتي قبرا فجلس اليه وذكر نحوه وفي لفظ آخر   وابن شاهين من طريق آخر لما قدم مكة اتى رسم قبر وعن جرير من طريق آخر لما قدم مكة وقف على قبر امه حتى سخنت عليه الشمس رجاء ان يؤذن فيستغفر لها فنزلت * وفي هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم وله علة اخرى قال ابن سعد في (الطبقات) بعد تخريجه هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالابواء انتهى * فبان * بهذا ان طرق الحديث كلها معلولة واما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فانه يمكن الجمع بينها وبين الاحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة ابي طالب وغيره واصح طرق هذا الحديث

ما اخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر امه في الف مقنع فما روئي اكثر باكيا من ذلك اليوم * وهذا القدر لا صلة له وليس فيه نفا لشيء من الاحاديث ولا نهي عن الاستغفار وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه وهذا ما فتح الله لي بتحريره في هذا المحل ولله الحمد *

﴿ فصل ﴾

حاصل ما تقرر في حديث الاحياء ان الذين حكموا بوضعه من الائمة الدارقطني والجوزقاني وابن ناصر وابن الجوزي وابن دحية والذين حكموا بضعفه فقط وانه غير موضوع ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن سيد الناس ووجه اخذه من كلام ابن شاهين انه اورده على انه ناسخ لحديث الزيارة فلو كان عنده موضوعا لم يصح ان يحتج به على النسخ وقد نظرنا بحسب الاصول فوجدنا العلل التي علل بها الفرقة الاولى كلها غير موثرة فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية ولله الحمد * وقد وافق على ما قلته من ان الحديث ضعيف لا موضوع الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فانه اورد الحديث من طريق الخطيب في كتابه المسمى (مورد الصادي في مولد الهادي) وانشد عقبه *

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا

فاحيا امه وكذا اباه * لايمان بـه فضلا لطيفا

فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

فصل

هذا كله فيما يتعلق باحيائها وقد ظفرت باثر يدل على انها ماتت وهي موحدة اخرج ابو نعيم في (دلائل النبوة) من طريق الزهري عن ام سلمة بنت ابي رهم عن امها قالت شهدت آمنة ام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام * فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما ابصرت في المنام
فانت مبعوث الى الانام * من عند ذي الجلال والاكرام
تبعث في الحل وفي الحرام * تبعث بالتحقيق والاسلام
دين ابيك البر ابراهام * فالله نهاك عن الاصنام
ان لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال * وكل كثير يفنى وانا ميتة وذكري باق * وقد تركت خيرا * وولدت طهرا * ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك *

اشعار

نبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * ام نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر في المدينه * صارت لدى حفرتها رهينه

هذا القول من ام النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريح في انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وآله وسلم بالاسلام* من عند ذي الجلال والاكرام* ونهيه عن عبادة الاصنام وموالاتها مع الاقوام* وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام* ونحوها وهذا القدر كاف في التنزيه من الكفر بثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعث وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة* وقد قال العلماء في حديث الذى امر بنيه عند موته ان يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح وقوله لئن قدر الله على ليعذبني ان هذه الكلمة لا ينافي الحكم بايمانه لانه لم يشك في القدرة ولكن جهل فظن انه اذا فعل ذلك لا يعاد ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كان كافرا فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ماكانوا عليه اهل الشرك وتمسكوا بدين ابراهيم عليه السلام وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل فكلهم محكوم بايمانهم في الحديث ومشهود لهم بالجنة فلابدع ان تكون ام النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم كيف واكثر من تحنف انما كان سبب تحنفه ما سمعه من اهل الكتب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من انه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وام النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك اكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة مما تحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها واضاءت منها قصور الشام حتى رأتها كما ترى (۱) وقالت للحليمة حين جاءت به وشقت صدره وهي مذعورة اخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه

(۱) بياض في الاصل ۱۲

سبيل وانه لكائن لابني هذا شان في كلمات اخر من هذا النمط وقدمت به
المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت
الى مكة فماتت في الطريق فهذا كله ما يؤيد انها تحنفت في حياتها*

﴿ فصل ﴾

فان قلت* كيف تدرك انها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة وهذا الحديث في انه
استاذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له وقوله* في الحديث الآخر امي مع امكما*
يوذنان بخلاف ذلك وهاانت اجبت عنها فيما يتعلق بحديث الاحياء بانها
متقدمان في التاريخ وذلك متأخر فكان ناسخا فماذا تقول في هذا فان
الموت على التوحيد ينفي التعذيب البتة* قلت* احسن ما يقرر به الجواب ان
يقال ان قوله امي مع امكما صدر قبل ان يوحى اليه انها من اهل الجنة كما
قال صلى الله عليه وآله وسلم في تبع لا ادري تبعا مومنا كان ام لا اخرجه الحاكم
وابن شاهين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
بعدان اوحي اليه في شانه لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه ابن شاهين
في (الناسخ والمنسوخ) ايضا من حديث سهل بن سعد وابن عباس رضي الله
عنهم فكانه صلى الله عليه وآله وسلم اولا لم يوح اليه في شانها ولم يبلغه القول
الذي قالته عند موتها ولم يذكره فانه كان ابن خمس سنين فاطلق القول
بانها مع امها جريا على قاعدة اهل الجاهلية ثم اوحي اليه امرها بعد ذلك
ويؤيد ذلك ان في آخر الحديث ما سألتها ربي* فهذا يدل على انه
لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة في امرها ثم وقع بعد ذلك واما
حديث عدم الاذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله

عليه وآله وسلم كان ممنوعا في اول الاسلام من الصلوة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعلل ذلك بان استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل عقب دعائه وصل منزله الكريم في الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في الحديث نفس المومن معلقة بدينه حتى يقضى فتكون ام النبي صلى الله عليه واله وسلم مع كونها حنيفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور اخر غير الكفر اقتضت ان لا يوذن له من الاستغفار لها الى ان اذن الله فيه بعد ذلك * ويحتمل ان يجاب عن الحديثين بانها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شان البعث والنشور وذلك اصل كبير فاحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذلك تأخر احياؤها الى حج الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم اكملت لكم دينكم * فاحييت حتى آمنت بجميع ما انزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ *

﴿ فصل ﴾

قد تأملت بالاستقراء فوجدت جميع امهات الانبياء عليهم الصلوة والسلام مومنات فلا بد ان تكون ام النبي صلى الله عليه واله وسلم كذلك * وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالاجمال * اما التفصيل * فام عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القران وذهب طائفة الى انها نبية لذكرها في سورة الانبياء مقترنة بهم وام اسحاق سارة مذكورة في القران وقيل ايضا بنبوتها لخطاب الملئكة بها وام موسى وهارون عليهما السلام مذكورة ايضا في القران وقيل ايضا بنبوتها لقوله تعالى واوحينا الى ام موسى * وام شيث حواء ام البشر عليها

السلام وقيل بنبوتها وردت الاحاديث والآثار بايمان هاجر ام اسمعيل وام يعقوب وامهات اولاده وام داؤد وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل صلوة الله وسلامه عليهم اجمعين ونص بعض المفسرين على ايمان ام نوح عليه السلام لقوله رب اغفرلي ولوالدي * ذكر الكرماني في هذه الاية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليه السلام ثم حكى قولا غريبا انهما كانا كافرين * قلت * الصواب الاول والاثر المذكور اخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مابين نوح الى آدم من الآباء كانوا على الاسلام ونص جماعة على ايمان ام ابراهيم ورجحه ابن حبان في (البحر) في تفسير سورة ابراهيم واسمها نوماء من ولد ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام حكاها ابن سعد في (الطبقات) * واما الاجمال * فاخرج الحاكم في (المستدرك) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ومحمد عليه السلام وبنو اسرائيل كلهم كانوا مومنين لم يكن فيهم كافر الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فكفر به من كفر فامهات الانبياء الذين من بني اسرائيل كلهن مومنات ولم يبعث بعد عيسى احد في الامم اما العشرة فقد ثبت ايمان ام اسمعيل واسحاق ويعقوب وذكر ايمان ام نوح وابراهيم وبقي ام هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج الى نقل اودليل والظاهر ان شاء الله تعالى ايمانهن فقد ثبت بهذا الاستدلال ايمان الجميع وكان السر في ذلك مايرينه من النور كما ورد في الحديث وكذلك امهات المومنين يرين *

فصل

﴿ فصل ﴾

قد عرف مما ذكرناه دليلان على ان ام النبي صلى الله عليه وسلم ليست في النار * كونها متحنفة * واحياؤها حتى آمنت * فيضم الى ذلك * دليل ثالث وهو كونها من الفترة والاحاديث في اهل الفترة معروفة مشهورة وقال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وقد اورد صاحب (مرآة الزمان) كلام جده ابن الجوزي على الحديث السابق ثم قال عقبه وقال قوم قد قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * والدعوة لم تبلغ اباه وامه فما ذنبها *

﴿ فصل ﴾

* ودليل رابع * وهو ما ثبت في الصحيحين ان ابا لهب رؤي في نوم فقال لم الق بعدكم خيرا غير اني سقيت في هذه لعتاقتي ثويبة وثويبة مولاة لابي لهب كان ابو لهب اعتقها وكانت ارضعت النبي صلى الله عليه واله وسلم فاذا سقي ابو لهب واعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبي صلى الله عليه واله وسلم وشدة مالقي منه لكونه اعتق من ارضعته فما ظنك بمن حملته في بطنها تسعة اشهر وارضعته اياما وربته سنين وهي امه *

﴿ فصل ﴾

* ودليل خامس * قال ابن الجوزي اخبرت عن ابي الحسن يحيى بن اسمعيل العلوي انا عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين الحسيني ثنا زيد بن حاجب ثنا محمد ابن عمار العطار ثنا علي بن محمد بن موسى القطفاني ثنا محمد بن هارون العلوي ثنا محمد بن علي (١) العباس ثنا ابي ثنا علي بن موسى بن جعفر ثنا ابي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن الحسين عن ابيه عن علي مرفوعا هبط

(١) بياض ١٢

جبرئيل عليه السلام عليّ فقال ان الله يقرئك السلام ويقول حرمت النار على صلب انزلك وبطن حملك وحجر كفلك * اما الصلب فعبد الله واما البطن فآمنة واما الحجر فعمه يعني اباطالب وفاطمة بنت اسد * قال ابن الجوزي في اسناده كما ترى وابو الحسن العلوي رافضي غال * قلت * فاطمة بنت اسد امنت واصحبت وهاجرت رضي الله عنها *

﴿ فصل ﴾

العجب ممن يقطع بكون ابوى النبي صلى الله عليه واله وسلم في النار اعتمادا على قوله امي مع امكما وقوله ان ابي واباك في النار * ونحوها من الاحاديث ويلغي ما عارضها بالكلية * وللمسئلة نظير صحيح للناس فيها خلاف وهي مسئلة اطفال المشركين فقد ورد في احاديث كثيرة الجزم بانهم في النار وفي احاديث قليلة انهم في الجنة وصحح الجمهور هذا منهم النووي وقال انه المذهب الصحيح المختار الذي صار اليه المحققون لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * واذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم يأته الدعوة فغيره اولى هذا كلام النووي * وذكر غيره ان احاديث كونهم في النار منسوخة باحاديث كونهم في الجنة ويوضح النسخ ما اخرجه ابن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن اولاد المشركين فقال هم من آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله اعلم ماكانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحكم الاسلام فنزلت ولا تزر وازرة وزر اخرى * فقال انهم على الفطرة او قال في الجنة * فهذا يدل على النسخ وكذا القول في الاحاديث التي وردت في ان ابوى النبي صلى الله

عليه وآله وسلم في النار كلها منسوخة اما باحيائهما وايمانهما واما بالوحي في ان اهل الفترة لا يعذبون ومن جملة الاقوال في الاطفال انهم في مشية الله تعالى لا يحكم عليهم بشيء وهذا هو المنقول عن الشافعي والائمة لحديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين * ومعناه ان من علم الله منه الايمان لو عاش ادخلها الجنة ومن علم منه الكفر لو عاش ادخله النار وكذا يقال في ابوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والطف بهما انهما لو عاشا الى بعثه لبادرا الى الايمان به مسرعين فيكونان من اهل الجنة ومن جملة الاقوال في الاطفال انهم يمتحنون في الآخرة فمن اطاع ادخله الله الجنة ومن عصى ادخله النار وصححه البيهقي وهذا بعينه ورد به الاحاديث الصحيحة في اهل الفترة واخرج البزار وابو يعلى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتى باربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تعالى لعنق من النار ويقول لهم اني كنت ابعث الى عبادي رسلا من انفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب اندخلها وما كنا نعرف ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتموني فانتم لرسلي اشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار * واخرج احمد وابن راهويه في مسنديهما والبيهقي في (كتاب الاعتقاد) وصححه عن الاسود بن سريع عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اربعة يحتجون يوم القيامة رجل اصم لا يسمع شيئا ورجل احمق

ورجل هرم ورجل مات في فترة الى ان قال واما الذي مات في الفترة فيقول رب ما اتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها * واخرج البزار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم ادرك عقلا فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها فيردها من كان في علم الله سعيدا لو ادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل * واخرج البزار عن ثوبان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارأيتم ان امرتكم بامر اتطيعوني وذكر نحو ما تقدم واخرج الطبراني وابو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مثله وفي الباب احاديث اخر وهذه الاحاديث هي العمدة في المسئلة وكل ما شابهها وعليها بنى الفقهاء اصولهم ومذاهبهم في انه لا يحكم على احد معين من اهل الفترة انه في النار بل هو في مشية الله موقوف على الامتحان وقد صرح في حديث ثوبان بجريان هذا الحكم في اهل الجاهلية عبدة الاوثان فمن لم يثبت عنه عبادة فهو من باب اولى وابوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من اهل الجاهلية من عبادة الاوثان بل ولا ثبت ذلك من احد من اصوله بل ثبت او كاد يثبت انتفاؤه عن جميع اجداده كما سيأتي الاشارة

المه * ويوخذ من هذه الاحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السالف عنه وقوله ان الايمان بعد الموت لاينفع فاذا كان الايمان ينفع اهل الفترة في الآخرة التي ليست بدار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الاحاديث فلان ينفعهم بالاحياء في الدنيا من باب اولى وعلى تقدير عدم ثبوت احيائهما في الدنيا فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة ان يطيعا ويهديهما الله لتقربه عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم *

فصل

ظهر لى نكتة لطيفة جدا في قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * حيث قرن بين هاتين الجملتين فان الاولى متعلقة باطفال المشركين اعتمد بها النبي صلى الله عليه واله وسلم حين نزلت واخبرهم بانهم في الجنة بعد اخباره بانهم في النار كما تقدم في حديث عائشة رضى الله عنها والثانية متعلقة باهل الفترة وهم والاطفال مشتركون في عدم التعذيب لامرين * احدهما * عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها في الاطفال وانتفائها بالكلية وعدم ورودها في اهل الفترة * والثانى * عدم التكليف لعدم شرطه وهو البلوغ في الاطفال وورود الشرع في اهل الفترة اذ لا حكم قبل البعثة فلهذا قرنت الجملتان وذلك من بدائع اسرار القرآن ولهذا اعتمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية في الحكم على اهل الفترة بانهم يمتحنون في الآخرة ولا يبادرون بالعذاب بعد اخباره بما يقتضى انهم في النار ابتداء فكان الاخبار اولا في الفريقين على حد سواء والنازل فيهما جملتان مقترنتان والاخبار ثانيا متحد عنهما ايضا

وهو انهم لا يعذبون وقد صححه النووي والمحققون في الاطفال وذهب آخرون الى انهم يمتحنون وجزم به اهل السنة قاطبة في اهل الفترة فوجب انتفاء التعذيب عن ابوي النبي صلى الله عليه وسلم بما جزموا به بالامتحان في اهل الفترة وجرى في الاطفال خلاف وصح كونهم في الجنة لاجل مزية البلوغ والعقل في اولئك ويدل لكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما حكم على اهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتمادا على هذه الآية ما اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا كان يوم القيامة جمع الله اهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ الذين لم يدركوا الاسلام ثم يرسل اليهم رسولا فيطيعه من كان يريد ان يطيعه ثم قال ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * اسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع *

فصل في نقل مذهب اهل السنة فيمن هو قبل الدعوة

قال اهل الاصول قاطبة شكر المنعم ليس بواجب عقلا خلافا للمعتزلة قال الكيا الهراسي وغيره المراد بشكر المنعم امتثال الاوامر واجتناب النواهي من الكفر وغيره * وقال ابن السبكي في (شرح مختصر ابن الحاجب) وذهب بعض اصحابنا الى موافقة المعتزلة كابن شريح والصيرفي والقفال الكبير وابن ابي هريرة والقاضي ابي حامد وقد اعتذر القاضي ابو بكر الباقلاني في (التقريب) والاستاذ ابو اسحاق في اصوله والشيخ ابو حامد الجويني في (شرح الرسالة) عمن وافق المعتزلة من اصحابنا بانهم لم يكن

لهم قدم راسخ في الكلام وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهي شكر المنعم واجب عقلا فذهبوا اليها غافلين من تشعبها عن اصل المعتزلة مع علمنا بانهم ماقتحموا مسالكهم وماتبعوا المقاصد هم ❋ قال ابن السبكي وهو كلام حق بالنسبة الى ماعدا القفال الكبير اما القفال فكان اماما في الكلام مقدما الا انه كان اول امره معتزليا فقال هذه المقالة ثم لما رجع عن الاعتزال لابد ان يكون رجع عن ذلك ❋ قال ابن السبكي وعلى مسئلة شكر المنعم يتخرج مسئلة من لم تبلغه الدعوة فعند نا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى الى الاسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح اذ هو ليس بمسلم انتهى كلامه وهو صريح في نجاته وانه لا يدخل النار وانه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلما وهذا غير مسئلتنا ان ثبت في شيء من الحديث اطلاق اسم على المحل المتنازع فيه وانما (١) كما ساشير اليه ❋

❋ فصل ❋

اورد الزركشي في (شرح جمع الجوامع) لقاعدة ان شكر المنعم ليس بواجب عقلا ثلاث ادلة من القران قوله تعالى ❋ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ❋ وقوله تعالى ❋ ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ❋ اى لم ياتهم الرسل والشرائع وقوله تعالى ❋ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ❋ قلت ❋ اخرج ابن ابي حاتم في تفسيره عند هذه الاية الاخيرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الهالك في الفترة يقول رب لم ياتني كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الاية ربنا لولا ارسلت

(١) بياض في الاصل ١٢

الينا رسولا فنتبع آياتك و نكون من المومنين * اسناده حسن و من الآيات
الواردة في هذا قوله تعالى و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلو عليهم آياتنا و ما كنا مهلكي القرى الا و اهلها ظالمون * و قوله تعالى
و لو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل ان نذل و نخزى * اخرج ابن ابي حاتم عند هذه الاية عن
عطية العوفي قال الهالك في الفترة يقول رب لم يأتني كتاب ولا رسول
و قرأ هذه الاية و لو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا الى آخر هذه الاية
و قوله تعالى و هم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل
او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير * و اخرج ابن ابي حاتم عن
قتادة في هذه الآية قال احتج عليهم بالعمر و الرسل و قوله تعالى رسلا مبشرين
و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * و اخرج ابن جرير و ابن
ابي حاتم عن السدي في هذه الاية لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل *
قال فيقولون ما ارسلت الينا رسولا * فان قلت * كيف يكون حكم اهل
الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة و حكم ما قبل البعثة و قد كانت شريعة موسى
و عيسى عليهما السلام اذ ذاك موجودة * قلت * دلت الادلة على ان
العرب لم يكونوا مخاطبين بها و لا مكلفين باتيانها و لهذا اوردت الاحاديث
في الهالك في الفترة صريحة و لو كان المراد بما قبل البعثة ان لا يكون بعث رسول
في الدنيا اصلا لاستحال وجود ذلك اذ ما من فترة الا قبلها نبي الى آدم عليه السلام
و هو اول الانبياء و ليس قبل آدم بشر و القرآن ايضا ناطق بذلك قال الله تعالى
و هذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحمون * ان تقولوا انما

انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين * واخرج ابن ابي حاتم وابن المنذر وابو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين * قال اليهود والنصارى خاف ان يقوله قريش وبهذا القول يندفع ماوقع في شرح مسلم في حديث ان ابي واباك في النار * من قوله ان اهل الجاهلية لا يجرى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان اذا كان يوم القيامة جاء اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم وذكر بقية الحديث في الامتحان فهذا نص في المسئلة وبقية الحديث شاهدة على الهالك في الفترة ما بين النبيين واشتهرت لما بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واذ الم يكن اهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم وقد قال الرفعي في (۱) وتبعه في الروضة من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام لا يجوز قتله قبل الاعلام والدعاء الى الاسلام فلو قتل كان مضمونا قطعا وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن اما الكفارة فيجب بلا تفصيل ثم له ثلاثة احوال * احدها * ان لا تكون بلغته دعوة نبي اصلا فلا قصاص على الصحيح واوجبه القفال وهل يجب دية مجوسي او مسلم وجهان اصحها الاول * والثاني * ان يكون مستمسكا بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص على الاصح وقيل يجب دية مسلم او يجب دية اهل ذلك الدين وجهان اصحها الثاني * والثالث * ان يكون مستمسكا بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص قطعا ويجب دية مجوسي في الاصح انتهى وهل يمكن ان يوجد في اطراف الارض

(۱) بیاض في الاصل ۱۲

من لم يبلغه ان الله بعث نبيا اصلا من لدن آدم و بعثة انبياء الله تعالى ووقائعهم
مشهورة ولولم تكن الا بعثة نوح واقامته الف سنة الا خمسين عاما
والطوفان الذي غرق اهل الارض جميعا فلو اخترنا مطلق وجود الانبياء
عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة ولسقطت الاحاديث
والآثار الواردة في اهل الفترة باسرها على كثرتها وصحتها ويحكم عليهم
جميعا بانهم في النار من غير امتحان وفي اهل الفترة وردالاحاديث الثابتة
الصحيحة *فان قلت* لم يتضح في هذا كل الاتضاح فزد لي بيانا بوجهه
قلت وجهه مجموع امور طول المدة من لدن بعثة ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام فانه لم يبعث في العرب نبي بعد اسمعيل وحدث التغير في دينهما وتمادى
الزمان عليه وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها وتداركت القرون قرنا بعد
قرن مستمسكين بذلك المغير حتى نشأ قوم فلم يجدوا الا ذلك ولم يسمعوا
بحقيقة دين ابراهيم على وجهه ولا وجدوا من يخبرهم به فهو يصدق عليهم
انهم لم تبلغهم الدعوة ولهذا استنكروا ما جاء به النبي صلى الله عليه واله
وسلم وتعجبوا منه ونسبوه الى انه اتى بدين محدث لا يعرف وقالوا ان هذا
لشيء عجاب ماسمعنا بهذا في الملة الاخرة *وقالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا
على آثارهم مقتدون* ولو كان عندهم علم بدعوة الانبياء عليهم السلام
على ما هي عليه لعرفوا ان دعوة النبي صلى الله عليه واله وسلم من نمط دعوتهم
فلهذا اسلم كثير من العرب لما سمع من اهل الكتاب الشهادة له بالتصديق
ولم يكن كفرهم انكار الصانع ولا لالوهيته ولا ادعوا في الاصنام انها تخلق
وتدبر كما ادعى نمرود وقومه بل كانو يقرون الله بالالهية وانه الخالق المدبر

كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله *وكانوا يزعمون الاصنام انها تشفع لهم عندالله كما قال تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كما قال الله تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون *فعرف بذلك ان كفرهم كفر اشراك لا كفر انكار لوجود الصانع وان ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الانبياء والرسل عليهم السلام وعدم بلوغه لهم على وجهه ويوضح ذلك قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير *فاذا كان الله اعذر اهل الكتاب بان بعث رسولا اليهم به بعد الفترة بين لهم ما بدله الاحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير وهم كانوا اهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة غير انهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه اسلافهم ولم يكونوا اهلا لتمييز الحق من الباطل فما ظنك بالعرب الاميين الذين ليسوا اهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب *

﴿ تنبيه ﴾

الذي عندي انه لا ينبغي ان يفهم من قول النووي في (شرح مسلم) في حديث ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك في النار *فيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو من اهل النار وليس هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم عليه السلام وغيره من الانبياء انه اراد بذلك الحكم على ابي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل ينبغي ان يفهم انه اراد الحكم على

ابي السائل وكلامه ساكت عن الحكم على الاب الشريف *

(فصل)

ظهرلى فى حديث ان ابي واباك فى النار * علتان * احداهما * من حيث الاسناد وذلك ان الحديث اخرجه مسلم وابوداود من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن انس رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك في النار * وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري وفي افراد مسلم احاديث متكلم فيها ولا شك ان يكون هذا منها * اما اولا * فثابت وان كان اماما ثقة فقد ذكره ابن عدي فى (كامله) فى الضعفاء وقال انه وقع فى احاديثه نكرة وذلك من الرواة عنه فانه روى عنه الضعفاء اورده الذهبي فى (الميزان) * واما ثانيا فحماد بن سلمة وان كان اماما عابدا عالما فقد تكلم جماعة في روايته وسكت البخاري عنه فلم يخرج له شيئا في صحيحه وقال الحاكم فى (المدخل) ما اخرج مسلم لحماد بن سلمة فى الاصول الا حديثا عن ثابت وقد خرج له مسلم في الشواهد عن طائفة وقال الذهبي حماد ثقة له اوهام وله مناكير كثيرة وكان لايحفظ فكانوا يقولون انها دست فى كتبه وقد قيل ان ابن ابى العرجاء كان ربيبه وكان يدس في كتبه ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فلما تجلى ربه للجبل قال اخرج طرف خنصره وضرب على ابهامه فساخ الجبل * هذا الحديث اخرجه احمد والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم واورده ابن الجوزي فى الموضوعات وقال انه لا يثبت وانه حماد سمعه من ربيبه عليه والمناكير فى رواية حماد كثيرة

وانما اوردت هذا لانه بسند الحديث الذى نحن في تعليله ومن انكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم مرفوعا رأيت ربي جعدا امرد عليه خضر* وهذا ايضا اورده في الموضوعات فبان بهذا ان الحديث المتنازع فيه لا بد ان يكون منكرا وقد وصف احاديث كثيرة في مسلم بانها منكرة * العلة الثانية * من حيث المتن وهي مبنية على مقدمة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا سأله اعرابي وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلبه اجابه بجواب فيه تورية وايهام كالحديث الذي اخرجه البخارى انه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر الى احدث القوم سنا فقال ان يستفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة * قال قال العلماء كان الاعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لا اعلمها فتنتهم وشكهم فاجابهم بجواب فيه تورية ومراده ان بلغ هذا الغلام اقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بان يموتوا وقيام ساعة كل واحد موته * اذا عرف ذلك فالذي عندى في هذا الحديث ان ابي واباك في النار ليس رواية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى فوهم ذلك وانما تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورى ففهم منه السامع فقاله * وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر ان ابي واباك في النار وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بامره البتة وهو اثبت من حيث الرواية فان معمر لم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان

لفظه اثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن ابي وقاص بمثل
لفظ رواية معمر عن ثابت عن انس فقد اخرج البزار في (مسنده) والطبراني
في (المعجم الكبير) بسند رجال الصحيح عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله اين ابي
قال في النار قال فاين ابوك قال حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار*
وهذا حديث صحيح وفيه فوائد * منها * بيان ان السائل كان اعرابيا وهو
مظنة خشية الفتنة والردة * ومنها * بيان جواب فيه ايهام وتورية اذ
لم يصرح فيه بان الاب الشريف في النار انما قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره
بالنار * وهذا جملة لاتدل بالمطابقة على ذلك انما قد يفهم منها ذلك بحسب
السياق والقرائن وهذا شان التورية والايهامات فكره صلى الله عليه وآله
وسلم ان يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة ابيه في المحل الذى هو فيه خشية
ارتداده لما جبلت عليه النفس من كراهة الاستيثار عليها ولما كانت عادة
الاعراب من غلظ القلوب والجفاء اورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فكانت
هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الاتقان ولهذا قال بعض الحفاظ
لولم يكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه يعني اختلاف الرواة في اسناده
والفاظه وقد وقع في الصحيحين احاديث كثيرة من هذا النمط وهم فيها الرواة في
بعض الالفاظ فبينها النقاد * منها * حديث مسلم في نفي قراءة البسملة وقد اعله
الشافعي بذلك وقال ان الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي
قراءتها فرواه بالمعنى على مافهمه نافيا في اشياء اخر مبينة في كتب الحديث
* فبان * بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة ولا يكون ذلك قدحا في صحة

الحديث من اصله بل في هذا اللفظ فقط وكذلك حديث امي مع امكما * على ضعف اسناده لايلزم منه كونها في النار لجواز ان يكون اراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ او غير ذلك تورية وايهاما تطييبا لقلوبهما * فان قلت * قد تقرر ان اهل الفترة لايقضى عليهم بكونهم في النار حتى يمتحنوا فكيف حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اب السائل بانه في النار * قلت * ظهر لي عن ذلك اربعة اجوبة * الاول * ان هذا الحديث متقدم على الاحاديث الواردة في اهل الفترة فيكون منسوخا بها كما اخبر اولا عن اطفال المشركين بانهم في النار ثم نسخ ذلك * الثاني * انا لم نقطع بعدم النار في اهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن اطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار فيمكن ان يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم اطلع في حق هذا بخصوصه على انه يعصي عند الامتحان فيدخل النار واوحي اليه بذلك فحكم بانه من اهل النار * الثالث * انه يمكن في هذا الرجل ان يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع باهل الكتاب وبلغه دعوة موسى وعيسى عليهما السلام واصر على الشرك فلم يعذر * الرابع * انه يمكن ان يكون عاش حتى ادرك بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك واصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة * فان قلت * فابوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث * قلت * الجواب عنهما من ثلاثة اوجه * الاول * انه يحتاج الى ثبوت ان اليهود دعوهما الى الدين وهذا لم ينقل فنحكم عليه خصوصا انهما لم يقيما بالمدينة الا اياما قلائل لا سيما ذلك اما عبد الله فانه مر بها في سفره الى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فاقام

بها اشهرا مريضا و مات وهذه المدة مع المرض لا يسع اجتماعا باحد و لا سوالا عن دين واما آمنة فقدمت المدينة زائرة لاقار بها فاقامت بها ايضا شهرا و معها النبي صلى الله عليه و اله و سلم فرجعت فماتت بالطريق * الثاني * ان نقول اي مانع ان يكون دعيا الى الدين فاجابا وان لم ينقل الامران وكيف ينسب اليهما الامتناع وقد نشر امراهل الكتاب والكهان وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك و بشرا به وبشرت به امه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك وقالت الابيات السابقة عند موتها وهل ينسب اليهما الشرك وقد اخبرا عن ولدهما انه يبعث رسولا عن الله بالتوحيد وكسر الاصنام وصدقا بذلك وهل الاسلام شيء غير هذا التصديق * الثالث * انا ندعي انهما كانا من اول امرهما على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وانهما لم يعبدا صنما قط وسنقرر ذلك قريبا بادلة *

تذنيب

من اللطائف في امرهما انهما ماتا شابين فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر * قيل هو ستون سنة وقيل اربعون سنة وفي الحديث لقد اعذر الله الى امرئ اخره من العمر ستين سنة * وفي الاثر قد تمت حجة الله على ابن الاربعين * وكان عمر والد النبي صلى الله عليه واله وسلم حين توفي خمسا وعشرين سنة كما قال الواقدي انه اثبت الاقاويل في سنه وكان عمر امه حين توفيت قريبا منه *

فصل

في الدليل على ان ابوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجداده

الى ابراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين ابراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان* اخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام* قال فاستجاب الله لابراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته* واخرج ابن ابي حاتم في تفسيره عن سفيان ابن عيينة انه سئل هل عبد احد من ولد اسمعيل الاصنام قال لا الم تسمع قوله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام* واخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي* قال فلن يزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله* قلت* ويمكن ان يحمل على ذلك قوله تعالى وتقلبك في الساجدين* فقد اخرج ابن سعد في (الطبقات) والبزار والطبراني وابو نعيم في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين* قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في اصلاب الانبياء عليهم السلام ويمكن ان يحمل على اعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا في ذرية ابراهيم لو صح انه ليس في اجداد النبي صلى الله عليه واله وسلم انبياء بكثرة بل اسمعيل وابراهيم ونوح وشيث وآدم وادريس في قول*

فصل

ومما يدل على ذلك ايضا قوله صلى الله عليه واله وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه *اخرجه البخاري في حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اصطفى

من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم* اخرجه مسلم من حديث واثلة فالخيرية والاصطفاء يشعر بالاسلام * وطريقة اخرى في الاستدلال* اخرج الامام احمد في (الزهد) والخلال في (كرامات الاولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض* واخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض ويخرج بركتها الا زمن ابراهيم فانه كان فيه وحده* واخرج احمد في (الزهد) عن كعب قال لم يزل بعد نوح في الارض اربعة عشر يدفع بهم العذاب* واخرج الخلال في (كرامات الاولياء عن زاذان قال ماخلت الارض بعد نوح من اثني عشر فصاعدا يدفع الله بهم عن اهل الارض* هذه الاثار مع اثر ابن جريج السابق في انه مازال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله يدل على ان اجداد النبي صلى الله عليه واله وسلم كانوا على الحنيفية زمن ابراهيم وبيان ذلك انهم لو كانوا على الكفر فلا يخلوا اما ان يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم غيرهم اولا يكون احد كذلك والثاني باطل خلاف الوارد في هذه الاثار الصحيحة والاول باطل ايضا لانه يلزم عليه ان يكون غيرهم خيرا منهم اذ لا يكون كافر خيرا من مسلم وهذا باطل بمخالفة حديث البخاري المصدر به هذا الفصل وهو انه بعث من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا الى القرن الذي كان فيه فهذا يدل على ان كل اصل من اصوله خير قرنه ولا يكون

 كذلك

كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم فتعين ان يكون مسلما والاحاديث متواترة بمعنى حديث البخاري * اخرج البيهقي في (دلائل النبوة) عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله في خيرهما فاخرجت من بين ابوي ولم يصبني شيء من عهد الجاهلية خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم نفسا وخيركم ابا * واخرج ابو نعيم في (دلائل النبوة) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يلتق ابواي على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما * واخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وقد اوردتها في اول (كتاب المعجزات) * واخرج ابن عمر العدني في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي ولم يلتقيا على سفاح قط * واخرج البيهقي في (الدلائل) والطبراني في (الاوسط)

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي جبريل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد رجلا افضل من محمد ولم اجد بني اب افضل من بني هاشم قال الحافظ ابن حجر في (اماليه) بعد ان اورد هذا الحديث لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن *

﴿ فصل ﴾

قال الشيخ ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وابو بكر ما زال بعين الرضى منه فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم ان الاشعري يقول ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان مومنا قبل البعثة وقال آخرون بل اراد انه لم يزل بحالة غير المغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بانه يصير من خلاصة الابرار قال الشيخ تقي الدين السبكي لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم في ذلك وهل العبارة التي قالها الاشعري في حق الصديق رضي الله عنه لم يحفظ منه في حق غيره فالصواب ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد ابن عمرو بن نفيل واقرانه ولهذا خصص الصديق رضي الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم انتهى * قلت * وهذا الذي قاله السبكي في الصديق رضي الله عنه نقوله نحن في ابوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجداده مع ان الصديق رضي الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل انما حصل له التحنف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودانه كثيرا *

فصل

فيمن نص على اسلامه من اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحا *اخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة واسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير *قال السهيلي في (الروض الانف) يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج *واخرج الزبير بن بكار مرفوعا لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين *وقال ابن سعد في (الطبقات) اخبرنا خالد ابن خداش حدثنا عبد الله بن وهب اخبرني سعد بن ابي ايوب عن عبد الله ابن خالد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا مضر فانه كان قد اسلم *وقال السهيلي في (الروض الانف) ان كعب بن لوى اول من جمع يوم العروبة وكانت قريش تجمع اليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم انه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان به ينشد في هذا ابياتا منها قوله *

يا ليتني شاهد انجواء دعوته * اذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في (كتاب الاحكام) له انتهى *قلت* اخرجه ابو نعيم في (دلائل النبوة) بسنده عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة وستون سنة وقد سقت الخبر بلفظه في اول (كتاب المعجزات)*

﴿ فصل ﴾

اخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد المطلب قال لما قدم اصحاب الفيل وقد صعد جبل ابي قبيس

﴿ اشعار ﴾

لا هم ان المرء يمنع * رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك

* واورده جماعة بلفظ *

فانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

هذا يدل على انه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه وفي (طبقات) ابن سعد باسانيده ان عبد المطلب قال لام ايمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان اهل الكتاب يقولون ابني نبي هذه الملة

﴿ فصل في بعض من تحنف في الجاهلية ﴾

اخرج البزار والحاكم في (المستدرك) وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا ورقة بن نوفل فاني قد رأيت له جنة او جنتين * واخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل يا رسول الله انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول ديني دين ابراهيم والهي اله ابراهيم ويسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر ذاك امة واحدة بيني وبين عيسى ابن مريم وسألناه عن ورقة بن نوفل

فقيل يارسول الله كان يستقبل القبلة و يقول الهي اله زيد و ديني دينه فقال رأيته يمشي في بطن الجنة عليه حلة من سندس * و اخرج ابو نعيم في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال في خطبته سيجيئكم حق من هذا الوجه واشار بيده نحو مكة قالوا له ماهذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص و عيش الابد و نعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسبقهم اليه * واخرج ابو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمي قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية وعلمت انها الباطل يعبدون الحجارة * و اخرج ابو نعيم عن عبد الله بن سلام قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب (١) حديث لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم * و اخرج الخرائطي و ابن عساكر في تاريخه عن جامع ان الاوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق و بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم واوصى بذلك ولده مالكا عند موته وقد سبقت الخبر بتمامه في المعجزات * و اخرج البيهقي و ابو نعيم كلاهما في (الدلائل) من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة ان عمرو بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وصلى لله و عاش حتى ادرك الاسلام و سبقت الخبر ايضا بتمامه في المعجزات واخرج الطبراني في (الكبير) بسند رجاله ثقات عن غالب بن ابجر رضي الله عنه قال ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فقال رحم الله قسا قيل يارسول الله ترحم على قس قال نعم انه كان على دين ابينا اسمعيل بن ابراهيم *

(١) بياض في الاصل ١٢

فصل

قال الشهرستاني في (الملل والنحل) كانت العرب على قسمين معطلة ومحصلة *فالمعطلة اصناف *منهم* من انكر الخالق والبعث والاعادة وقال بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر *ومنهم* من اقر بالخالق والابتداء والابداع وانكر البعث والاعادة وهم الذين اخبر الله عنهم بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم *ومنهم* من اقر بالخالق والابداع ونوع من الاعادة وانكر الرسل وعبد الاصنام وزعم انها شفعاء له عند الله في الآخرة وهم اكثر من العرب الاشرذمة منهم * واما المحصلة* فكانوا على ثلاثة انواع من العلوم *علم الانساب والتواريخ والاديان ويعدونه نوعاشر يفاخصوصا معرفة اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من ابراهيم الى اسمعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطلب وببركة ذلك النور الهم النذر في ذبح ولده وببركته كان يامر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركته قال لابرهة ان لهذا البيت ربا يحفظه ومنه قال وقد صعد ابا قبيس *

لاهم ان المرء يمنع * رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه

ويعاقب فيها المسيء باساءته ومما يدل على اثباته المعاد والمبدأ انه كان يضرب بالقداح على عبد الله ابنه ويقول يارب انت الملك المحمود وانت ربي الملك المعبود من عندك الطارق والتالد * ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة ان اهل مكة لما اصابهم ذلك الجدب امروا ابا طالب ان يحضر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير فاستسقى به وانشد في ذلك ابو طالب بقوله *

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

* والنوع الثاني * علم الرؤيا * والثالث * علم الانوار وهو علم الكهانة والقيافة ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع فمن كان يعتقد الدين الحنيفي زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الايادي وعامر بن الظرب العدواني وممن كان قد حرم الخمر في الجاهلية قيس بن عاصم التميمي وصفوان بن امية الكناني وعفيف بن معد يكرب الكندي وممن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم عليه السلام طالحة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة ومنهم زهير بن ابي سلمى وكان يمر بالعضاه وقد اورقت بعد يبس ويقول لولا ان تسبني العرب لآمنت ان الذي احياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته المشهورة

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب او يعجل فينقم

وكان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي حتى احشر عليها فان لم تفعلوا حشرت على رجلي وكانوا في الجاهلية يحرمون اشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الامهات والبنات والاخوات والخالات والعمات وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون

الجمار ويحرمون الاشهر الحرم ويغتسلون ويغسلون امواتهم ويكفنونهم وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التي ابتلى بها ابراهيم عليه السلام ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق وكان دين ابراهيم قائما والتوحيد شائعا في صدر العرب واول من غيره ووضع عبادة الاصنام عمرو بن لحي وهذا كله كلام الشهرستاني * قال * ابن الجوزي في (التلقيح) تسمية من رفض عبادة الاصنام في الجاهلية * ابو بكر الصديق * زيد بن عمرو بن نفيل * عبد الله بن جحش * عثمان بن الحويرث * ورقة بن عمرو ابن نوفل * رباب بن البراء * ابو بكر اسعد الحميري * قس بن ساعدة الايادي * ابو قيس بن صرمة *

﴿ فصل ﴾

ثم رأيت الامام فخر الدين الرازي احتج بما احتججت من ان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد فقال في كتابه (اسرار التنزيل) ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه * منها * ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه بوجوه * منها * قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين * فقيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد وبهذا التقدير فالاية دالة على ان جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع بان والد ابراهيم ما كان من الكافرين اقصى ما في الباب ان يحمل قوله تعالى وتقلبك في الساجدين * على وجوده بالكل فلا منافاة بينهما ووجب حمل الاية على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان

ومما

ومما يدل على ان آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين* قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات* وقال الله تعالى انما المشركون نجس *فوجب ان لايكون احد من اجداده مشركا هذا كلام الامام بحروفه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب*

تم طبع هذه الرسالة المباركة في ثامن شهر رجب
من شهور سنة (١٣١٧) الهجرية وآخر دعوانا
ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه
اجمعين برحمته وهو ارحم
الراحمين

٢٨٠١



